



زمنٌ قضى ثم انقضى فكأنه حلمٌ قرأتُ الموت في تفسيره

ابن شهيد الأندلسي

حممٌ بطيئةٌ سالتُ سيلانَ العسل، هنا على هذه السفوح الخفيضة.

"انظروا ما أخفها!" هتف بضعة أطفال، بأكفٍ ممدودة قابضة على الحجارة، المثقبة كخدود أجدادهم الذين نجوا من الجدرى.

بطيئاً كان صعودنا وسط ذلك الاخضرار الواسع. توقّفنا قبل الوصول إلى برج التلفزيون. تردّدتنا قليلاً قبل الدخول إلى كهف الينبوع. حفرتنا برودته. أطبقت ظلاله على عيوننا التي أعمها النهار. ضياء كالممحاة، ونحن صاعدون لنغتسل من غبار الاحتفالات بعيد العمّال.

أقلّتنا إلى "عيد الشيوعيين" في "جبل الكوكب" سيارةً صنوبرية الخضرة، لامعة برغم قدمها. أربعة انتفاخات، وادعة وبرّاقة كالدلافين، تعلو دواليبها. تحقّق السائق من إقفال البابين الخلفيين، كابساً بإبهامه زرّ القفل. كان زرّاً أبيض جميلاً كدولاب في دمية سيارة.

كان لخيمة رحلتنا عمودان: جذعان من جذوع الحور، نحيلان، أملسان، ناصعان كعوارض السقوف في بيوت الطين. طوال الطريق إلى الكوكب، حملتُهما أربعُ أيديٍ ممدودة من النوافذ الأربع، إحداها من وراء ظهر السائق، ذي الشارب الرفيع كالخيوط. كانت ساعة سايكو زرقاء، في المعصم الأيمن لأبي، تعكس شمس أيار، فتتراقص فوقنا دائرةً من الضوء، صغيرة كالليرة. (سقطتُ عن الدرج المظلم لغرفة الضيوف هُتِمتُ معصمه الأيسر. عظامه المفتتة جُيرت في المجر، يؤلمها البرد، وما عادت تحتمل أيّ ثقل).

رفرفت ستائر النوافذ الخضراء. لاحت في ثناياها ابتسامة أبي. ربما، في صمته، كان يتذكّر أباه:



"على هذه الدروب، قدث "البسكليت" وأبي جالس ورائي ممسك بخاصرتي".

طوٹ سيارتنا المسافاتِ على مهل، سكة قطار كيبكا، المنعطفات المميثة للطريق الدولي... حتى حقول الشعير في السهوب السوداء. هناك، عند قدم "الكوكب"، انتهى ترحال جدّي، "السيد" ذا العمامة الخضراء. كالربيع لونه الأخضر والأسود. قال: "هذه هي أرضي". تقاسم أولاده تركته من التراب، في تلك البقاع القاحلة، الكالحة.

في الحصاد الوشيك، كانت السنابل مشرئية حولنا، برؤوسها الشائكة كرؤوسنا، ونحن في جوقة الأطفال، صدورنا مزينة بميداليات حمراء، على شكل نجوم في قلوبها بورترية لينين. كئا، مصحوبين بالأكوروديون، نغني "نشيدنا الأممي":

"قسماً بالورد بالسنابل بالعيون السود بالربيع"

فيمازحنا الضاحكون:

"يا كفرة! القسّم بغير الله حرام!"

*

سماوات



1951 □□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□□

تحت شجرة الكمثرى، عند هذه الجملة: "كثيراً ما ينتهي الإنسان بحبّ من يرغب في قتله"، أغلقتُ الكتاب. حطّ بقربي بطّان. صوت، في المساء الرطب، على إحدى شرفات الطابق الثاني من الفندق، قال:

"ما أجمل انسكاب النيازك فوق البراكين. السماء هنا أقرب. تعالوا معنا. النيذ في جبال غيريلاس ليلكي".

هزّت المعلّمة مونسيرات رأسها، معنصرة عينيها، لتؤكّد ما سمعته.



سنتكون وجهتي، صباح غد، مدرسةً باحثها فوهة بركان:

"التلاميذ هناك يمتطون المكناس أثناء الفرص، ويقلّدون الأمير الصغير على كوكبه. ينطّف كل تلميذ مدخنة بركانه، ثم يزرع عصا المكنسة ليتسلّقها الثعبان، والهدية في فمه: وردة حمراء".

قالت مونسيرات، سويّة "الجيل المنشار" المقدّس، موجوعة البطن، كمن أكلت الكثير من بصل الكالسوت المشويّ.

فكرتُ بمن سيقول ساخرًا:

"الأمير الصغير مرة أخرى؟ ما قصتكم معه، أنتم السوريين؟ ألم تسأموا إنجيلكم هذا؟ ارحمنا وقلّ: "ورد! ورد! البركان رشيد عساف!"

قال فرانسيسك، الآتي من إقليم أندوره في البيرنييه، المستقبل توّاً من منصبٍ ما في معهد رامون لول:

-خمسة عشر عالم رياضيات أقاموا قبلكم، هنا، في فندق ريو فلوفيا.

شرب العلماء دوارق من القهوة المركّزة. كلُّ عالم يطحن بضع حبّات بنّ بآلة صغيرة كالمبراة، ويعدّ قهوته بيديه. قال أحدهم، مستخرجاً من جيبه إصبع طباشير:

"يابانيّ، لا يترك أيّ غبار".

ذات عشاء، على هذه المائدة نفسها، ناقشوا مطولاً تفاصيل السبّورة والطباشير اللذين لا بد من وضعهما في كلِّ ركن: سبّورات على السلالم، وفي الممرّات، وغرف النوم وحتى دورات المياه، إذ من يدري متى يأتي الحلّ، وأين سنُغير الفكرة الصائبة على العقل؟

العلماء صيّدون يقدرّون الصبر والصمت. ستوجههم الحسرة إذا فوّتوا فكرة من الأفكار التي تلمع كالبروق. تراني أحببتهم لأنّ البراءة مادّتهم الخام؟ العلم ظلام، والشعراء منقّبوه المتواضعون. حائرون في المسافة بين الاسم



والمسمّى، ولا يُبالون بالمسمّي.

في الوقت الراهن، كما في كلّ الأوقات الراهنة التي مضت، سيبقى الوضع على حاله، ولن يتغيّر شيء. سنرى غداً.
على الأقل، سيمسح ضباب الربيع الغبار عن هذه النوافذ.





1505 □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□

*

ضبايُّون، والضبابُ مرثاتنا الكبرى.

لا أحد يقبل أحداً. لا يحدث قبولنا للآخرين إلا بالصدفة.

تنتظر طويلاً، ثم تغادر وتختفي.

*

غامثٌ فانتظرثُ أن تظهر على التراب، في الغابة الصغيرة، بركةُ الضوء. ثم أمطرتُ فاستعجلتُ قدماي الذهاب إلى بقعة الظلِّ الأدكن بين الأشجار. في نهاية الرزاد، أصحْتُ السمع:

جناحٌ يخفق بين الأوراق بندقيَّةٌ تلقم، قطراتٌ كبيرة تتساقط ورائي خطواتٌ تفضحها الأوراق الميتة.

ما أضيّق الفارق بين الملائكة والقتلة.

*

مستعجلاً في غابة الزان، غير البعيدة عن الفندق، جاوزتُ صليباً ضخماً من الحجر الكلسيِّ، غرسه تائبون في مرعى البازلت، وغطّى العشبَ بظلِّه الواسع، الطويل. إليه يتكئ الدرّاجون في مستراحهم- الخوذ على الرُكب، وقمصانهم اللّماعة لصيقةٌ بمتانةٍ عضلاتهم. لن تنطيع على أكتافهم أيّ علامة بيضاء، كالصلبان التي تخيّل بريشت مخبراً يرسمها بقطعة طباشير على راحته، ثم يربّت كالمتضامن أكتاف المشبوهين في المقاهي والمظاهرات، ليدلّ الصليبُ قواتِ العاصفة إلى المطلوبين. طبطبة المواساة وشايُّ موت. بغتةً، توقفتُ. لمحتُ بطرف عيني قصاصةً فاقعة الصفرة. موشاة بلطختين برتقاليّتين، حافّتها مسنّنة كقلامه قلم خشبيِّ. حسبتها قمامة للوهلة الأولى. توهمتُ كالمعتاد من



سيُهمني برميها، حتى هنا، في خلاء هذه المرتفعات. مَنْ، إن لم يكن أنا؟

مَنْ الشاهد رأى الوسخ ثم رأني

أين يتخفى الواشي

مَنْ، في أي نافذة، لمحني

أين القضاة

ما القانون

أين الله

مَنْ الشاهد على الخطيئة إذا كانت الدودة خالقة التفاحة؟

كنتُ مخطئاً. اعتدتُ خداع نفسي. أتفه نتفة من نفايات الإنسان تفسد جنة برمتها. مَنْ أوكل إليّ قممات الآخرين؟ أعلى عاتقيّ تنظيف الطبيعة؟ فلأكن هذه المرة راهباً، تطلّله غيمة من الحزن والخجل، ينطّف حديقة ديره، لا خوفاً من قانون ولا بطلب من أحد.

*

احتجبت الشمس وراء السحاب الآتي من جيرونا، فتوهجت زهور هندباء، صفراء مهددة على جنبات الطريق.

كأن شيئاً لم يكن. دوماً، كأن شيئاً لم يحدث. وراء صومعة سان سيباستيان، الوحل بعد المطر. كانت هنا جدارية اختفت. تبقى في مكانها قليلاً من العار يكفي ليملاً الهواء، فإذا اعتصرت بيدي، تحشر كالمختنقين:

"أنا العار، الأقرب إليك من جبل الوريد. سلبتك كل شيء، ولن أعطيك شيئاً. حتى لو قتلوك، سأعيش على حسابك"



بضع سنوات أخرى".

أكان لي مصيرٌ آخر أخذه الشيطان إلى رأس ذلك البركان؟ هل لي مستقبل آخر في ذلك المستقبل، لن أعرف فيه
أحداً، ولا أحد يُريب أحداً؟

قفز العراة من الأيقونات، وكانوا بذئيين.

بين الأعمدة المورقة للكنيسة القوطية، تحت وحوش التماثيل، رأيتُ وجهاً يقطر لؤماً.

مَن طوّبه قديساً؟

نظرتُه قطرةً سمّ على مسرح الأنياب والمناقير.



1997

*

طيرت خطواتي السريعة بضع بتلات تساقطت من غصون اللوز. أتراجع عن قولي إنَّ البتلات المتساقطة من زهور
الشجر أجنحة فراشات. أشطب في خيالي:

"لا تعلّم شجرة الخير والشر. لا يُطفأ البركانُ بقطرة ندى. الأنقى من الندى عيون القطط بين القبور. الشباب قصير.
على نصارة العشب كوندوم ذابل كجورب دمية. الخلود للبلاستيك. كلُّ الناس خالدون قبل أن يُولدوا".



أكلُّ مندِيل مرميٍّ على العشب، بجانب الطريق، من بقايا الرغبات؟ أهنا صاحبت أجساد وسفكت شهواتها في هواء الليل؟ في هذه المنعزلات، لا أريد أن تطلق حرّيتي حرّية أحد، ولا أن ترتطم جرأتي على العزلة بجرأتهم على المجاهرة فتنتهك خلوتي خلواتهم. شبّانُ كالرياح، فتياثُ كالمصاييح. لا أعترضهم بتسكُّعي، ولا يعترضونني بالجنس الحرّ في الهواء الطلق. سينعش رذاذ الربيع بشراتهم حين تتورّد، في هدوء الصمت، بعد الحبّ.

*

وسط أكواب الرماد، المسماة براكين خادمة، ثمة أرواح تفوح بروائح الكلاب المبتلة بالمطر والوحل.

يوم سمعنا عن مجزرة كرايست تشرش في نيوزيلندا، فتحت معلّمة دانمركية شابّة حديثاً عن الدموع لم يشارك فيه أحد.

قال فرانسيسك إنه لا يبكي أبداً، ولا يتذكّر متى بكى. غير قناة التلفزيون حين بكت حماته الروسية في عيد الميلاد أمام دعاية لليونيسييف.

سألته: "كيف جرى استفتاء الاستقلال عن مملكة إسبانيا؟" كأنني أسأل نفسي عن استفتاء الاستقلال في كردستان العراق وما تلاه.

قال إنهم أخفوا بعض صناديق الاقتراع على استقلال كتالونيا في غابة أولوت.

"هذه المدينة تصبّع الأحزمة الجلدية ولحوم الخنازير. سكة القطار القديمة اختفت. صارت الآن درباً للدراجات الهوائية". ثم استدرك:

"كلّ عام، يُدبّح مليار خنزير على وجه الأرض".

كلّ تلك الشرائح الوردية اللذيذة كأشجار العذارى في قصائد الشعراء البروفنساليين الإباحيين.



كلّ هذه الحظائر والسهول والهضاب التي عبرتها المآسي.

أتذكّر أنّ المسلخ بالفارسية "بسملكاه" لأنه المكان الذي يُتلى فيه "بسم الله" قبل نحر الذبيحة.

لا خداع في الذبح. القتل مستمرّ لأنّ لذّته عظيمة. يمرّ داخل رأسي قطار تتناوب عرباته البضائع والناس والحيوانات. القتل قبل ركوب القطار أو بعده. وإذا تعطلّ، أفلن يضجر القتلة قبل الوصول إلى المحطّة التالية؟

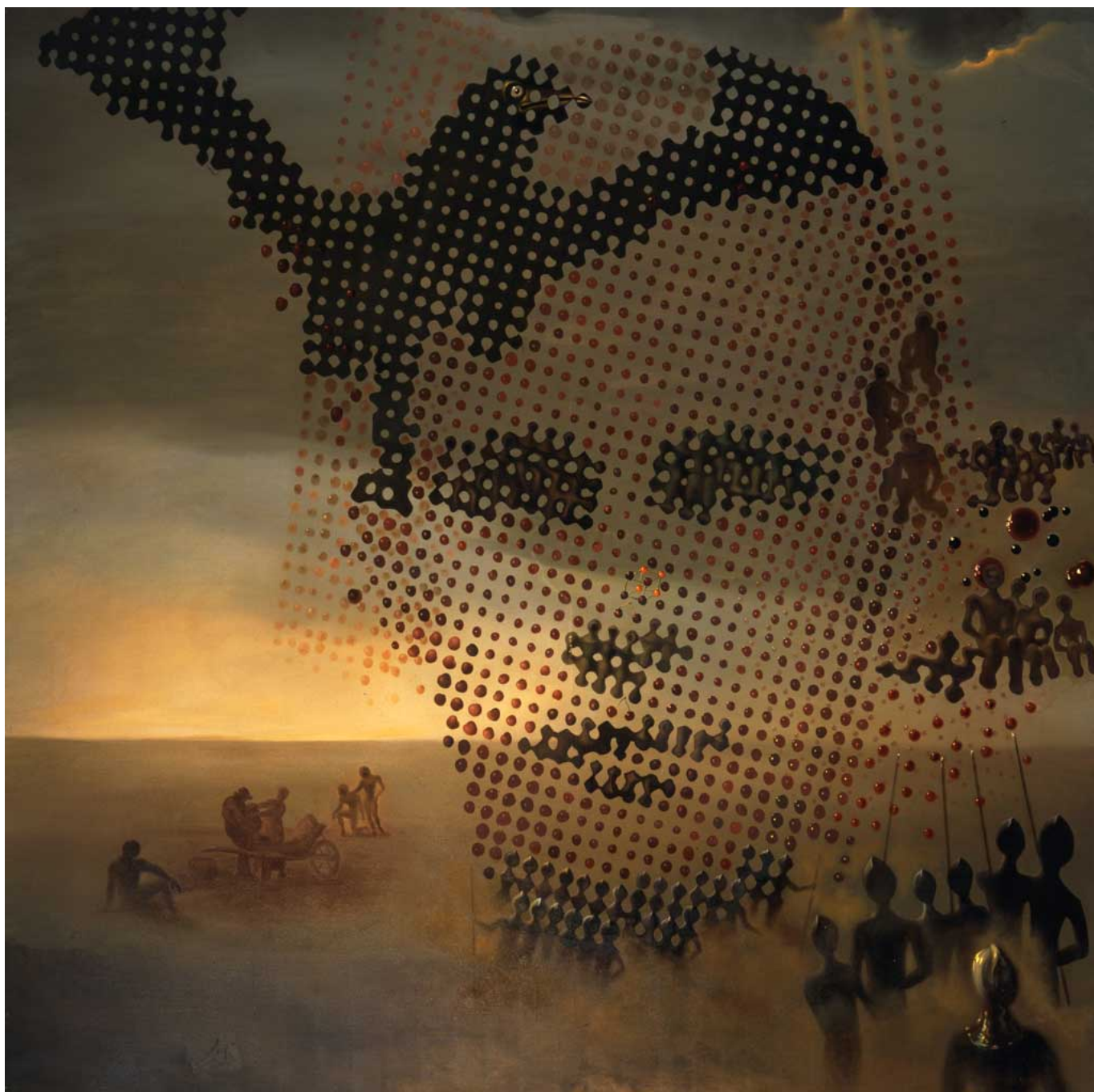
منذ مئة عام، أتلّف الفاشيّون بالمحارث هذه الدروب ليصطادوا الهاربين من الموت. أطلقوا النار على ساعات الأبراج. ربّما حطّموا الزمن، لكنهم لم يوقفوه. كم كاهناً قتلوا في الساحات أمام الكنائس؟ شهوّد الصمت أشجار البلوط المعمّرة، والتماثيل، والسحب البطيئة فوق الكاتدرائيات...

أنا شاهد زور؟

أتساءل: أيّ صدى تردّد في هذه الوديان حين ربّت الطلقات على نحاس النواقيس؟

من ذاق الحرب سيفهم الشاعر الذي رأى "الدخان المتصاعد من فكرة محطّمة/الورقة التي تسقط أعلى من الشجرة/السماء المقمّلة تحكّ جلدّها فتتساقط النجوم".

كان أولاد الفلاحين، منذ مائة وخمسين عاماً هنا، يرون الغيوم جيوب الله، والثلج ريش إوزات تنتفح الملائكة، ويمسحون وجوه العميان بالطحين في عيد الفصح، أما الشعراء المنسيّون فيشعلون ثلاث شموع لمذراة الشيطان، ثم ينصبون كمائنهم لأرقّ الكلمات فلا يصطادون إلا الفراشات الميتة.



1963 Գարոտի աստղադաշտը



*

لماذا سأعطّي بالكلمات العريّ المشعّ للموجودات؟

لا يزال التصوير يربكني، فأختلسه مستعجلاً في أغلب الأحيان. لا أكاد أحظى بصورة واحدة واضحة لما قد أرغب في استرجاعه لاحقاً. هذه شجرة ذّراق على الأرجح. أبتعد قليلاً، وأختلس صورة لها. هي ذي حفلة حبّ أخرى. أضع رأسي بين الفروع المزهرة، وأغمض عينيّ لأنصت إلى طنين النحل. هذه "الأكوان الطائفة" التي حاول أبي أنْ يعلمني كيف أداعب وبرّ ظهورها دون أنْ يخوّف أيّ منّا الآخر.

أين سينام النحل هذا المساء؟ أين القفير؟

لو سكتّ الطنين تبيّمتُ. سيرعيني الصمت.

*

مَن يدري ماذا في قبضتي؟

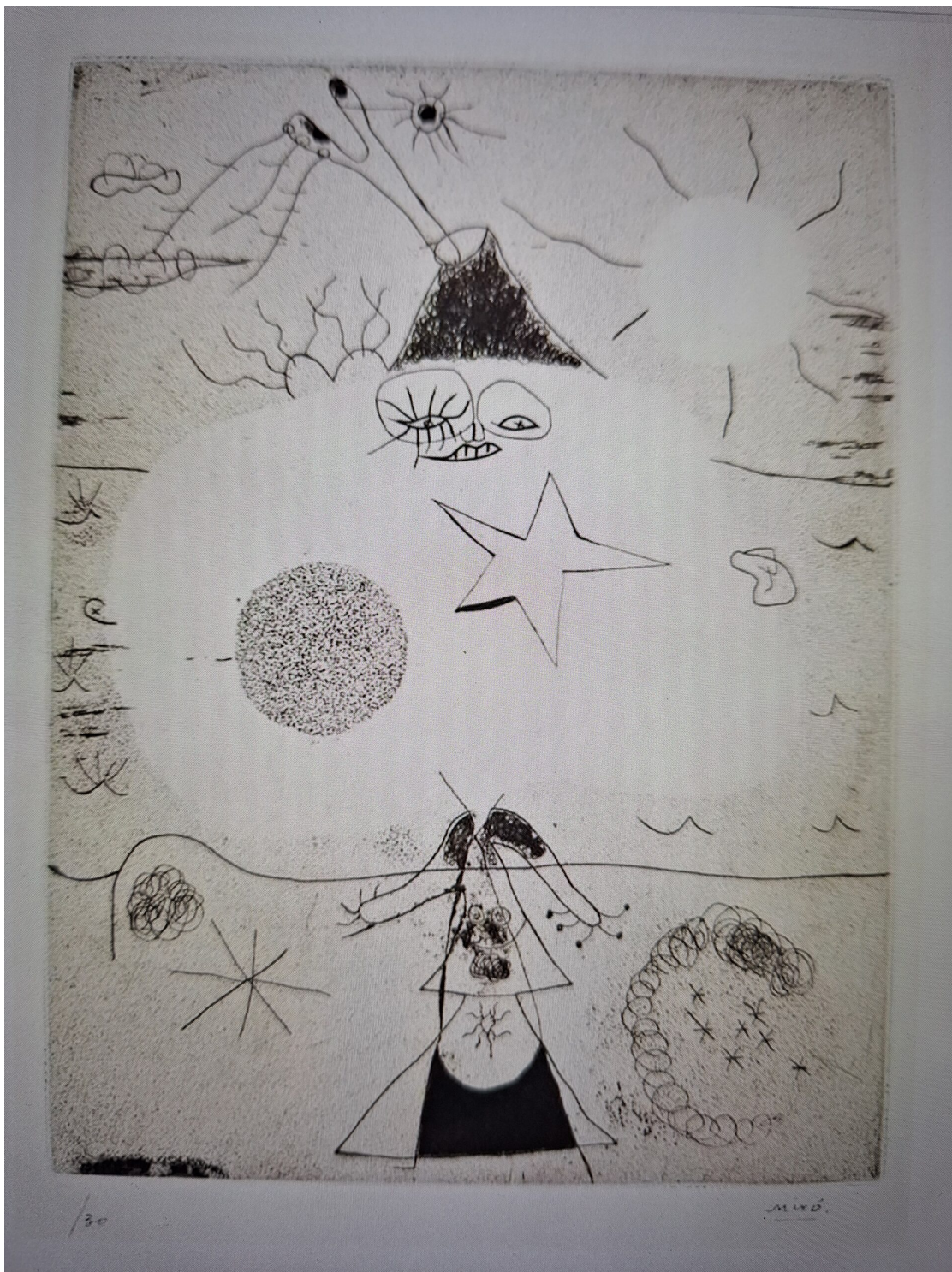
احزري، أنتِ يا مَن تحسبين أيّ قرعٍ على الباب ذنباً متنكراً، أيتها الطفلة على درّاجتك الصغيرة، على شفا النصف الجميل من جرح العالم، تخافين الظلام الخاطف للغابة، وأتهيبّ ظلماتِ السنين التي مضت، يا بنتاً صغيرة انعطفت قبلي، وحيّيني بابتسامة تسع بركان مونتساكوبا كلّهُ، فبدّدت للحظاتٍ يأسِي، هذا اليأس الغامض الذي أدأوبه بالمشي. لن ألعب معك لعبة: "من أين أنت؟" عليّ أنْ أسبق هذا الليلَ السريع.

أستعجلُ الهبوط. يقلقني أنْ أخيف بظهوري، أو أخيف باستعجالي، المتنزّهاتِ الوحيدات، وهنّ يفلتن كلابهنّ لتطارِد الأرانب البنية بين الصخور، هاتفات لسرعة الحيوان ورشاقته، مع أصدق ابتسامة لا يُعطى مثلها إلا لطفل:

"برافو! برافو!"



تنقصنا جميعاً هذه الحيوية، هذه الغريزة الأعلى، والعداؤون يبذلون قصارى استطاعتهم للحاق بالحيوانات. لكنّ الخوف مُعدٍ. إنّه يقرع القلوب بنظراتٍ أشدّ من المطارق. كلما ضاقت الدروب قوي احتمالاً أنّ تتبادل التحية ونطمئنّ، فلا يرتبك أحدٌ ممّا بالذين يمشون خلفه كيف ينظرون إليه دون أن يراهم. يقلقهنّ أنّ يمشي غريبٌ وراءهن، فيغذّ خطاه مضطراً ليبرهن لهنّ أنه لا يلاحقهنّ. ابئلين بالخوف من ظهور رجل في مثل هذه الأماكن، وأنا ابئليت بالتفكير في خوفهنّ من ظهور أسمر مثلي، يتجاوز الذين يتقدّمونه ليتجاوزوا خوفهم منه.





1938 □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□

*

عشية عيد النوروز، مرتدياً قميصاً أخضر قصير الكمين، أشعلتُ عود ثقاب في فوهة بركان، لا لأقول من أين أتيت، بل للوصول إلى حيث أتيت. آنستني نار صغيرة وجيزة العمر، أوقدتها بوضع عيدان من شجرة ليمون، مريضة مقطوعة. ألقىتُ فوقها كوز صنوبر، أملاً سماعه يتفح بين الجمر.

*

هبطتُ إلى الوادي بفراشة صفراء ميتة. كورثُ يدي وباعدتُ الأصابع قليلاً، لكيلا يذيب غبارها عرق طفيف في باطن كفي، ولكيلا يتهمني أحد من العابرين بقتل فراشة في هذه المحمية على سفوح بويغ ساكالم. ماذا سأصنع بأسيرة ذهبية لا أعرف كيف سأدفنها؟ أين سأحترق مرقدها؟ ربما في تلك السفوح السفلى المزروعة بالملفوف. أجهل التحنيط وأخشاه. الجمال هسّ يفسده الدفء. فتحتُ يدي أكثر لتبرد راحتي: قرنا استشعار متقصّفاً كأسديّة جافّة بين تويجات شبّ الليل. كنتُ قاسياً، رغم حرصي الشديد على العكس طوال الرحلة. من قال إنّ الرأفة ينبوع والحرص قيد؟ حقاً، "كلُّ موت ضرب من القتل". كان قتلاً ثانياً ما ظننتُه رفقاً بالمخلوقة الرقيقة التي لا أعلم كيف قصّت أول مرة. لاحت نملة محنّاة، بلون اللحاء النحاسي للسنديان، بالغة الضالّة فلم يشعر بها جلدي. حملتها دون أن أنتبه حتى نفختُ عليها لتطير، وتتوارى في وسادة ضخمة من أوراق الزان اليابسة. حرمتها من تفتيت تلك الفريسة المجنّحة الهامدة بين الحصى.

لم أصطد الفراشة الليمونية وهي حيّة لتفرحني بدغدغة يدي، ثم أفرح ثانية بإطلاق سراحها.

قد تتوقّف بغتة سيارة عابرة أفسح لها الطريق الضيق، فيترجّل من يقول لي:

-من أنت؟

-كنتُ أتمنى لو سألثموني هذا السؤال وأنا نائم. قابلتُ اليوم عالم أثنوبولوجيا روى لي في المقهى من أنا.



اسألوه.

-افتح قبضتك! أرنا ما سرقت من كنوز الغابات!

فأريهم جناحين صغيرين كتويجات قرنفة صفراء.

لا قيامة للموتى، حتى لو سمعتُ الجناحين يخشخشان في يدي التي انقلبت تابوتاً للنجاة، خشخشة وانية كورق يصنع منه التلاميذ زهوراً في دروس الأشغال.

أينا العائدُ أينا الذاهبُ إلى عالم آخر؟

*

ما تلقيتُ من إهاناتٍ عجزتُ عن ردّها- أتجاهلُها حقاً، أم تقبلُها؟

أحاول أن أقنع نفسي: "لا شيء يحدث"، لأنني تعبتُ من الانتباه.

أكان لا بدّ من هذه العزلة الطويلة لأعرف أشياء أخرى عن الصمت، وأستطيع أن أكلّم سواي؟

أبيّ عالم تنبع فيه سعادتِي من خوفي؟ ماذا لُقنتني هذه العزلة، وإلى متى ستنقى بجانبِي؟ أبيّ غائب سينضم إليّ؟

أنام على حاجة مريضة إلى سواي، وأستيقظ على هجر كلّ الرغبات، غريباً داخل الجسدِ الأخير الذي رأيتُ ولمست.

أكانت عزلتي احتجاجي على نفسي؟ خرجتُ وحدي في مظاهرة ضدّ نفسي. لم أحققُ حتى الآن شيئاً مما ظننتُ أنّ باستطاعتي تحقيقه.

الواقع يخفي كلّ شيء إلا الأوهام. لن أرفع هذا الحجر عن طريقي. سأرفع نظرتي.



*

عُوقبت الحياة هنا، بين هذه البراكين، منذ مئة سنة، فَمَن يستطيع معاينة الموت؟ أسمع تصفيراً وراء شجرة اللوز المزهرة. أهذا العصفور الذي لا أراه سجين جناحيه أيضاً؟ ألأنني ظننتُ أنّ الجسد سجنٌ يخنقني، حاجزٌ يعترضُ طريقي، آمنْتُ بالروح؟ أنا الذي لا طريق واضحاً له، روجي قلق قديم يعبر هذا الربيع.

كان خوفي شكلاً آخر من هروب الأسرى، غطّيتُ فيه خفقَ الأجنحة بضجّة الكلمات.

الآن، لم تبقَ أيُّ كلمة تغطّي على الرسالة الواضحة: المخرج مسدود.

ليس لي أكثر من جسدي. لا أشتهي إلا ما أراه.

هذه النسمة الدافئة كالدم رسالةٌ من القمر، الشاحب كالنازفين في حربٍ ما، في مكانٍ ما، على هذه الأرض.

من المنتصر هذه المرّة؟ العشب، مرة أخرى؟

الأرض سوداء. القمر أبيض.

الأمل الصغير أصلب من الصوّان.

أيتها السماء الواسعة ارحمي أسفي الصغير.

ارحمي حياتي الخفيفة عديمة المعنى في جنون الحياة المليئة بالمعاني.

*

المنحدرات معبّدة. تشققُ إسفلتها مما يشجر بين الجذور. المطبوع على سواده، ببخّات صفراء، شعائر لا أزال أحسبه لمكافحة الإيدز، كأنه ذراعاً آدم تخفيان عورته. أعلم أنه للمطالبة بالإفراج عن السجناء الكتلايين المطالبين



بالاستقلال، يشبه "لا" عربية مقلوبة كُتبت بخط أندلسي. "لا" محثمة وفادحة الثمن، علامة حداد على ربيع أسود.

أسمع أسناناً تقطف الحشائش وتجتريها. روث قديم عاد تبناً خافت البريق. روث خيول بدينة عارمة الشهية، تدفن رؤوسها طويلاً في المعالف بين بكرات القش. طوال خفاف مُسرحه أعرافها وذبولها. قوائمها ثخينة قِصار كالمدكات. فرسٌ تداعب بخدها خد صغيرها- مهز مستلق في برودة الوحل، شعز كموني يكسو جلده، بياض قوائمه من الأسفل كالضمادات، عصافير زرقاء تمشي حوله، تنقر ما لا أراه ولا أعرفه. عيناه مغمضتان. نسمات ترفع عرفه الرمادي الناعم. سترتجف ركبتي كقوائمه المهزوزة حين يركض. إذا حلمت مثله فسينتهي كل منفي، وستفتح في قلبي حديقته لا يبكي بين ورودها غير السعداء.

فليشهد علي هذا العشب القوي: إن قلقي لا يخجلني، لامعاً وعارياً كخواصر الخيل.

خبأت دمعاً طللت تكلم نفسها حتى تبخرت.

*

إلى أي غبار سبترجمني الزمن؟

غبار البراكين يغطي حذائي. ليست فقيرة هذه المقاطعة. ترابها غني بالمعادن. حقولها تسمد بمخلفات الحيوانات. صخورها الخقان خفيفة مثقبة كوجوه جدات تعافين من الجدي. تحف الطرقات، وتسور الدروب الصغيرة. ترجعني إلى استحمام دافئ مديد يوارى ضبابه وجهي في المرآة، أفرك أثناءه، بحجر من أحجار طفولتي، الجلد الميت لكعبي السميكين، وكوعي الخشنيين كركب الأفيال.

لم يقل لي أحد: "تلك هي السعادة". ألا طائل حقاً مما يُستعاد؟ ذات يوم، لفرط ما تذكّرت، سأنسى ما رأيت، وتنزل علي الرحمة. كان أبي سيستعيد ما قاله أجداده، رافعاً كفه في الريح الهينة، يديرها كالديك على برج كنيسة سانت إبيستيف، ليعلم من أي جهة هبوب النسيم:



"انظر. الأفق غطاه الغيم. المطر نازلٌ غداً. الشمس الغاربة مبلولة المؤخرة".

وأنا الآن، أمام شجر التفاح والنوافذ المعتمة وخفوت الكلمات، وحيداً وبعيداً عن أمواتي، أضيف إلى ما قالوه:

"شمس مبلولة كمؤخرة القرد، كالعائد من الصيد صفرَ اليدين".

شمال كتالونيا، آذار 2019

بضع ملاحظات صغيرة:

- "جبل الكوكب" بركان صغير خامد في منطقة الجزيرة السورية.

- سنة 2631 بالتقويم الكردي هي سنة 2019 بالتقويم الغربي.

- في المقطع الأخير عبارتان منقولتان حرفياً عن اللغة الكردية (الكرمانجية): الأولى هي "شمس مبلولة المؤخرة" كناية عن الشمس التي تغيب وراء الغيم، أما الثانية والأخيرة فمحوّرة عن المثل الكردي: "من يذهب إلى الصيد تبتلّ مؤخرته".

اللوحات للكتلانيين الثلاثة:

- سالفادور دالي: فواكه مقطّعة وبركان (1951)، بورتريه أخي الميت (1963)

- أنطونيو تايبيس: أجنحة بيضاء (1997)

ڪوڪب ڳاڙو تنشا، آڌار 2631



-جوان ميرو: امراء و برکان (1938)

الڪاتب: جولان حاجي